مخارج الحروف عند مكي درار

Exits of the characters at Makki Darar

الطالب: كمال عمامرة

إشراف: د/ لخضر قدور قطاوي

قسم اللغة العربية -جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف (الجزائر)

kamel777nadjme@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2018/03/10 تاريخ المراجعة:2018/03/12 تاريخ النشر: 2018/06/10

الملخص:

مما لاشك فيه أن موضوع مخارج الحروف قد اختلف فيه العديد من الباحثين منذ عهد الخليل وسيبويه، ومن جاء بعدهما كالقراء إلى غاية يومنا هذا، فهي عند سيبويه ستة عشر مخرجا، وعند الخليل سبعة عشر وآخرون قالوا تسعة، وعند الفراء أربعة عشر، لكن كلهم اتفقوا على أن ترتيب الحروف يبدأ من الحلق إلى الشفتين فكان ترتيبا تصاعديا، عكس بعض المحدثين أمثال كمال بشر وتمام حسان ومحمود السعران وعبد الرحمن أيوب، وغيرهم كثر الذين سعوا إلى ترتيب مخارج الحروف من الشفتين إلى الحلق أي ترتيبا تنازليا، كما أنهم اختلفوا أيضا في عدد مخارجها منهم من عدها تسعة، وآخر عشرة، والبعض الآخر قال أحد عشر مخرجا.

تطرقت في هذا البحث إلى علاَّمة لغوية رائدة في الجزائر، وهو الباحث مكي درار الذي يمكن اعتباره مدرسة قائمة بقوائمها في مجال الدرس الصوتي، حيث وجدته قد خالف القدماء والمحدثين في توزيع وترتيب عدد الحروف على مواضعها، وسأتعرض إلى تجديده في مصطلح الموقعية بدل مخرج الحرف.

الكلمات المفاتيح: الصوت; مخارج الحروف; الموقعية; سيبويه; الخليل; مكي درار.

Résumé

There is no doubt that the topic of character exits many researchers differed since the reign of Al Khalil and Sîbawayh, who came afterwards as Readers until this day, when Sîbawayh six exits, and at Al Khalil seventeen et said nine, when fur fourteen, but they all agreed that the order of characters starting from the throat to the lips were in ascending order, reverse some recent scholars such as Kamal Bichr, and Tamam Hassan, and Mahmoud Saaran, and Abdul Rahman Ayoub, and other many people tried to arrange the character exits of lips. Into the throat of any in descending order, they also differed in the number of phonemes of them counted nine, another ten, others said one of the exits.

I touched upon in this research linguistic mark a pioneer in Algeria, a researcher Makki Darrar which can be considered a school list of their own rosters of voice lesson, where it found to have violated the insights veterans in the distribution of the arrangement of the number of characters on the place, I apologize to the renovated in the term in situ instead of the exit of the character.

Keywords: the sound ; Exits of letters ; Locatio ; Sîbawayh; Al Khalil ; Makki Darrar.

مقدمة:

إن الدراسات اللغوية الصوتية – سواء القديمة أو الحديثة- كثيرة متشعبة، فقد أدرك دارسوها أن علم الأصوات اللغوي يعتبر ركنا أساسيا من أركان أي لغة، وبما أن القدماء أو المحدثين استعملوا مصطلح علم اللغة أو علم اللسانيات، فهم على دراية بأن لهذا العلم منهج قائم يقوم على الاستقراء والملاحظة والتجربة، وذلك بالانطلاق من تفكيك وتحليل الوحدات الصغيرة وصولا إلى الوحدات الكبيرة، وبهذا فقد نال علم الأصوات حظا وافرا في الدراسات اللغوية فهو العلم الذي يدرس الأصوات من حيث صفاتها ومن حيث إخراجها، وعليه نجد أن الدراسة الصوتية لدى مكي درار قد نالت حظا وافرا في بحوثه. وعليه يمكن طرح السؤال التالي ما الجديد الذي جاء به مكي درار في مجال الدرس الصوتي وبالتحديد في مخارج الحروف وهل أبقى على توزيع وترتيب الحروف على مواضعها كما جاء به القدماء أو المحدثون؟

توطئة:

لقد أنتج لنا مكي درار عملا ضخما في كتاب سماه (الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه: خلفيات وامتداد) تطرق فيه إلى مختلف القضايا الصَّوتية، وعلى ما يبدو أن غيرته الشديدة على اللغة العربية واهتمامه بلغة القرآن هو الهدف الأسمى الذي أدى به إلى تأليف مثل هذه الكتب، فلا توجد دراسة لغوية بجميع مستوياتها إذا لم تعط أهمية لعلم الأصوات فهي الممهدة للدراسة الصرفية والنحوية والمعجمية والدلالية والأسلوبية...، وهذا ما انطلق منه مكي درار، فقد أعطى أهمية كبيرة لعلم الأصوات.

والصَّوْتُ لغة: الجرس، وقد صات يصُوت ويَصاتُ صوتا، وأصات، وصوَّت به: كله نادى، ويقال: صوَّتَ يُصَوِّتُ تصويتا، فهو مُصَوِّت، وذلك إذا صوت بإنسان فدعاه، ويقال: صات يصُوتُ صوتا، فهو صائت، معناه صائح، والصوت صوت الإنسان وغيره[1]

فالأصوات هي اللبنات الأولى في البناء اللغوي وأساسه الذي يقوم عليه، ولا خير في بناء تهالكت لبناته، واهتز قوامه، لو وَجَّهَ النَّاسُ- المتخصصين وغير المتخصصين- اهتمامهم إلى تعرف أصوات لغتهم واستيعابها مادة وصنعة، لساروا في الطريق الصحيح إلى إيجاد لغتهم والتمكن منها، الأمر الذي يقودهم في النهاية إلى الفوز بلغة تعكس شخصيتهم وتحكي أنماط أفكارهم وسلوكهم، فلعلم الأصوات أهمية عملية تطبيقية وذلك في تعليم اللغة القومية، واكتساب مهارة أدائها على وجه يحافظ على خصوصيتها ويحميها من اللكنات المتنافرة وبلبلة الألسن.[2]

والصوت اللغوي عند مكي درار « شقَّانِ متوازيان في جميع الأشكال والتشكيلات فهو فيزيولوجي عضوي، وفيزيائي نفسي، وصوائت الصوامت، والصوائت قصيرة وطويلة، والصوامت أصول وفروع، والأصول معجمة ومهملة والكميات أجزاء وتضعيفات، ومخارج وصفات، وكل منهما أساسية وثانوية، وسبحان من خلق من كل شيء زوجين اثنين»[3].

غاية مكي درار من الدرس اللغوي:

يرى مكي درار بأن اللغة العربية مثلها مثل باقي اللغات الإنسانية، بقيت منطوقة غير مكتوبة عصورا، ثم مكتوبة دون قواعد تضبطها، وقوانين تحكمها زمانا، إلا ما اعتاد عليه الناطقون في طرق التعبير بها، إلى أن سهَّل الله لها سبيل الدرس، بعد أن أخصها وأهلها بحمل رسالة الهدى، ونشرها في أرجاء المعمورة، فكانت العربية وأهلها أحقَّ بها[4] ، وقد نُقل عن عمر بن الخطاب قولَه : (تعلموا العربية، فإنها تُشبب العقل، وتزيد في المروءة)»[5]

« ولم تزل الأئمة من الصحابة الراشدين ومن تلاهم من التابعين، يحضون على تعلم العربية وحفظها، والرعاية لمعانيها، إذ هي من الدين بالمكان المعلوم، فيها أنزل الله كتابه المهيمن على سائر كتبه، وبلَّغ رسوله عليه السلام وظائف طاعته، وشرائع أمره ونهيه»[6].

فالعرب كانوا حريصين كلَّ الحرص على الحفاظ على اللغة العربية، التي هي لغة القرآن وكلام الله الذي لا يجب أن يشوبه لبس عن طريقها، فكان على النحويين التفكير في منهج لغوي يصونه ويصونها.

ولما « اختلط هذا اللسان الكريم بغيره من الألسن، ودخل فيه ما ليس منه، فنبتت نابتة اللحن، وفسد منه ما كان فصيحا ناصعا، وتحولت خضر مرابعه سودا بلاقعا، وأصبح من يُعرب في كلامه متفاصحا غريبا، وذو اللحن العِيّ معروفا حبيبا، ودخل فساد اللسان علوم الدين، حتى طال الكلام المنزّل والحديث المأثور»[7].

وبسبب سرعة انتشار اللغة العربية وتعميمها، واختلاط العرب بالأمم الأخرى، التي دخلت إلى الإسلام، تغيرت بِنياتها الأصلية من تبدلات صوتية، اضطر حينها النحويون إلى صيانتها عن طريق التقعيد المنظم المحكم الذي يؤسس للغة عربية ذات منهج علمي مؤسس.[8]

ومما لا يخفى على أحد أن هذا التنظيم والتقعيد للدرس اللغوي إنما جاء نتيجة لظهور اللحن في اللغة العربية، « وإسهاما في حفظ لغة القرآن، وإبرازا لوجهها الناصع»[9]

« حيث لاحظوا عيوب اللسان كاللفة، والرُّتَّة، واللجلجة، والحُبْسَة، بل لاحظوا أيضا خصائص من اللهجات واللغات الخاصة، ولكنهم لم يعرفوا كنهاً للخطأ في القواعد والخروج على النحو».[10]

وروي أن الذي أوجب على أبي الأسود الدؤلي وضع النحو« أن ابنته قعدت معه في يوم قائظ شديد الحرّ، فأرادت التعجب من شدة الحر فقالت: (ما أشدُّ الحرِّ)! فقال أبوها: القيظ، وهو ما نحن فيه يا بُنيَّة، جوابا عن كلامها لأنه استفهام، فتحيرت وظهر لها خطأها، فعلِم أبو الأسود أنها أرادت التعجب، فقال لها: قولي يا بنية: (ما أشدَّ الحرَّ)! فعمل باب التعجب، وباب الفاعل، والمفعول به وغيرها من الأبواب»[11]. ومما يروي في ذلك، أن رجلا لحن أمام الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: (أرشدوا أخاكم فقد ضلَّ)[12]

وكان لاحتكاك العرب بالفرس والهنود نتيجة التبادلات التجارية التي كانت قبل ظهور الإسلام سببا من أسباب ظهور اللكنة، والتي هي الأخرى كان لها نصيب آخر في فساد اللغة العربية، ومن بين الأسباب أيضا، هو اختلاط اللسان العربي بغيره من العجم، نتيجة الفتوحات العربية الإسلامية.

ولقد حدثنا قرآننا الكريم عن الرحلتين الشهيرتين اللتان كانتا مشهورتين، وهما رحلتا الشتاء والصيف،« لإيلاف قريش، إيلافهم رحلة الشتاء والصّيفِ»[13] ، فكانا القريشيون يقومون برحلتين إحداهما إلى الشام، وتكون في فصل الصيف نحو الشام، والرحلة الثانية في فصل الشتاء باتجاه اليمن.

ويرى مكي درار بأنه من أجل اللغة و«الحفاظ عليها أن العرب كانوا يبعثون بمواليدهم من الذكور إلى البادية، ليتربوا على خصالها، ومحامدها، وسجاياها، وليتعلموا فيما يتعلموه فيها، فصاحة القول، وسلامة التعبير، وليكتسبوا صفاء التصور الذهني السليم، والسلوك الجماعي القويم، ولينؤا عن اللحن الذي بدأ يتفشى على ألسنة الناس، ويظهر في كلام الموالي والمتعلمين منذ عهد النبي»[14]

فقد عُرف عن العرب أنهم كانوا يعقدون أسواقا للشعر يتبارون فيها، ويُدلي كلُّ أديب أو شاعر بدلوه، وفي ذلك تنافس المتنافسون، على إظهار الوجه الحسن للغة العربية.

« ولمكانة اللغة العربية في هذا الدين، قام العلماء بخدمتها، حفظا وتصنيفا، وسخروا أعمارهم للذب عنها ودرء المفاسد، وبذلوا في ذلك الغالي والنفيس، فألزموا مرتاد حياض علوم الشرع البداءة بها»[15]

وبعد ذلك يبدو من المؤكد أن الأوائل يتفقون إلى أن تنظيم وتقنين اللغة العربية، وتأسيس ظوابط تحكمها هو نتيجة تسرب اللحن إلى المجتمع العربي المحافظ، نتيجة الفتوحات الإسلامية والاحتكاك التجاري، وتذهب المدرسة السلوكية إلى أن الإنسان يعيش في محيط إجتماعي يتأثر به ويؤثر فيه، وهذا التأثر إما يكون إراديا أو غير إرادي، فأنت مثلا إذا ذهبت من مدينة غليزان ومكثت بمدينة تلمسان ولو لبضعة أيام ستتأثر لا محال بطريقة نطقهم ونبرتهم.

لقد عدَّ مكي درار هذه المرحلة انها هي التي سبقت ظهور الدرس اللغوي أو سايرته، في انتقاء ألفاظ اللغة العربية وتهذيب أسلوبها، وتوحيد لهجاتها، من أجل توحيد التصور العربي في لغة واحدة، هي لغة قريش، فهذه المظاهر كلها، والأعمال جميعها تندرج ضمن دور الحفاظ والصيانة على اللغة العربية[16].

فإذا ما تتبعنا البحوث اللغوية التي اعتنت بالحرف العربي، نجدها قد بحثت في أصل الحرف العربي وتاريخ كتابته وشكله وفي المقابل نجد أيضا اعتناء آخر وهو دراسة صوت هذا الحرف.

فلم يتفق العلماء على عدد الحروف، ولا ثبتوا على موقف واحد، والسبب في ذلك من وجود صور مكرورة للحرف الواحد كالهمزة والألف، والهمزة ولام الألف، ففريق عدها حرفا واحدا، وفريق اعتبر كل شكل حرفا مستقلا عن غيره[17].

وبالتأمل في هذا النص نرى أن هناك إشكالية بين العلماء حول تحديد مفهوم وشكل الحرف العرب، الذي على ما يبدو لم يحدد في كيفية تطور خطواته إلى الشكل الذي اتخذه وانتهى به في عصرنا الحالي.

ولمكي درار رأي خاص في كلمة حرف فيقول« وقد يكون لفظ الحرف مأخوذا من معنى الحفر، إذا كان الحرف في الأصل نقشاً على الحجارة أو الأخشاب، والنقش حفر، ثم أصابه قلب مكاني، فتقدمت الراء على الفاء هنا كما تقدمت في غرضوف من غضروف، وسروال من شلوار»[18].

على ما يبدو أن كلمة حرف قد أخضعت إلى نظام التقليبات الاشتقاقية، أي قام الأوائل بتقليب الكلمة التي أصلها حفر، ونمثل لذلك بكلمة كتب (ك-ت-ب)، فإذا ما طبقنا عليها هذا النظام استخرجنا منها ست كلمات و هي : كتب – بتك- كبت- تكب- بكت- تبك، فأصبح منها المتداول المستعمل وآخر مهمل.

يبدو أن تشابه الحروف أوقع الكثير من العلماء في اختلافات كثيرة، اضطر حينها أبو الأسود الدؤلي إلى فك هذا اللبس، عن طريق نقط الإعجام وعلامات الإعراب.

ومما ينبغي أن نلفت الانتباه إليه، هو على الباحث التفريق بين نقط الإعجام ونقط الإعراب، فنقط الإعجام هو « نقط الحروف في سمتها، للتفريق بين الحروف المشتبهة في الرسم، كنقط الباء بنقطة من تحت، ونقط التاء باثنين من فوق، ونقط الثاء بثلاث نقط من فوق، أما نقط الإعراب، أو نقط الحركات، وهو نقط الحروف للتفريق بين الحركات المختلفة في اللفظ، كنقط الفتحة بنقطة من فوق الحرف، ونقط الكسرة بنقطة من تحت الحرف، ونقط الضمة بنقطة أمام الحرف أو بين يديه»[19]

إذا مكي درار يركز على أهمية الدراسة الصوتية التي لا يستهان بها في الدرس اللغوي، فبِها تتحق المستويات اللغوية الأخرى، كالنحو والصرف والأسلوب.

فالحرف المكتوب المرسوم شكلا، ليس إلا صورة ذهنية مترجمة للصوت المسموع المنطوق، فالصوت سابق للحرف[20].

وظائف الجهاز النطقي:

مما لا شك فيه أن الصوت اللغوي يحدث في أعضاء الجهاز الهضمي والتنفسي، « فالمخرج هو موضع الخروج»[21]، وفي «علم الأصوات نقطة في مجرى الهواء يلتقي عندها عضوان من أعضاء النطق التقاءً محكماً في بعض الأصوات وغير محكم في أصوات أخرى»[22].

فالهواء الصاعد من الرئتين، والذي يمر بتجاويف الحلق والفم وصولا إلى الشفتين، يُحدث أصواتا متنوعة، تحدث كلها في الجهاز النطقي.

وقد سئل هنري مرة: من أين تتكلم؟ فقال : من بطني، فهذا مقبول من وجهة نظر رجل عادي، فالإنسان حين يتكلم يصدر أصواتا من تلك الأعضاء والأجهزة التي لها دخل في عملية إصدار الكلام[23]

ويرى كمال بشر بأنه يجدر الإشارة إلى أربعة نقاط مهمة في أعضاء النطق:

1- تسمية (أعضاء النطق) تسمية مجازية، فهي ليست وظيفتها الوحيدة إصدار الأصوات الكلامية، وهي تذوق الطعام وتحريكه وشمه، والأسنان وظيفتها قضم وطحن الطعام، فتسميته بهذا الاسم ليست إلا ضربا من التوسع أو المجاز.

2- أعضاء النطق منظومة متكاملة على درجة عالية من الدقة والانضباط.

3- ليست أعضاء النطق جميعها متحركة، أي قابلة للحركة، فمعظمها ثابت لا يتحرك وقليل منها قابل للحركة، كاللسان والشفتين.

4- جهاز النطق بأعضائه وبنيته الأساسية واحد عند الإنسان السوي وتفعيله يكون في طرائق توظيفه وفقاً للبنية اللغوية.[24].

« ...ولكن الضرورة الاجتماعية مضافة إلى الذكاء الإنساني خلقا وظيفة ثانوية لهذا الجهاز الحيوي، هي وظيفة النطق اللغوي»[25]

فأعضاء النطق لم تُخلق فقط للنطق وإصدار الأصوات، بل لها عدة وظائف حيوية أخرى، وهي قضم وطحن وبلع الطعام، فجهاز النطق يتداخل مع بعض أعضاء الجهاز التنفسي والجهاز الهضمي للإنسان من أجل إحداث الأصوات.

يرى مكي درار بعد دراسة مستفيضة أن سيبويه لم يفرد الجهاز النطقي ببحث، ولم يخصه بباب من أبواب كتابه، وإنما اكتفى بذكر الأعضاء التي تعمل في حدوث الصوت، فوصفها عاملة، محدثة للصوت اللغوي، وذلك عند حديثه عن الإدغام، وتتألف أعضاء الجهاز النطقي عند سيبويه، من الأقسام التالية:1- الحلق 2- اللسان 3-الحنك الأعلى 4- الأسنان 5- الشفتان 6- الخيشوم[26].

ولا ربما أن سيبويه لم يصف الجهاز النطقي في كتابه لأنه لم يدري كيف هي معالم هذا الجهاز من الداخل، ما عدا الأعضاء الظاهرة منه كاللسان واللهاة والأضراس ...، أما الرئتان وباقي الأعضاء التي بواسطتها تحدث الأصوات الإنسانية فلا يمكن رؤيتها، فالجهاز النطقي بدأت تظهر معالمه وأشكاله مع ابن سينا حين كان يشرّح الأموات، وبالتالي أمكنه التعرف على أعضائه من الداخل، فأنتج لنا كتاب سماه بالقانون في الطب.

يرى مكي درار بأن التقسيمات الكبرى عند سيبويه للجهاز النطقي غير مرتبة، وقد عمل مكي درار على ترتيبها، تسهيلا للعرض، وتنظيما للحديث[27].

مخارج الحروف عند مكي درار:

مما يجب علينا أن نلفت النظر إليه، أن مكي درار يعارض القدماء والمحدثين في تحديدهم لمصطلح مخارج الحروف، يعرف لنا مكي درار المخرج فيقول:« المخرج بفتح الميم، في إيحائه الصوتي، هو اسم لمكان تحدث فيه عملية الخروج، ودلالة الخروج من الموضع تكون للظهور، والمفارقة، والانتقال، والترك، وفي هذه الأحوال تفيد دلالة الكلمة، وجود جسم وجودا حقيقيا مستقلا يقوم بعملية المفارقة التي هي الانتقال والتحول، ومن هذه النظرة، يكون مخرج الصوت هو موضع مروره من موضعه الأصلي، إلى موضع جديد، وليس هذا ما ينطبق على معنى المخرج الصوتي في آثار الدارسين»[28]

ثم يضرب لنا مكي درار مثالا في هذا الموضع فيقول: « فإذا قلنا خرج التلميذ من القسم فهو خارج، فهذه حالة ذاتية، تعني أن التلميذ خرج من تلقاء نفسه، أما إذا قلنا أخرج المعلم التلميذ من القسم فهو مُخرج، أي أن التلميذ خرج مكرها»[29] « فالصوت كالجنين في بطن أمه، عندما يكتمل شكله وتشكيله يحين وقت خروجه ومغادرته»[30]

ولقد حاورت مكي درار، حول هذا القصد فأجاب: «الصوت يمر بثلاث مراحل موقع النشأة 2- التشكيل 3- المغادرة».[31]

وإذا بحثنا في تراث اللغة العربية نجد أن القدماء لم يتطرقوا كثيرا في دراساتهم الصوتية إلى التعريف بالمخرج، فالدراسات اللغوية الصوتية القديمة أولت اهتماما لمخارج حدوث الأصوات وحدوثها.

ويمكن القول بأن أبا الأسود الدؤلي هو أول من تطرق إلى موضع خروج الصوت، حين قال: « إذا رأيتني لفظت بالحرف، فضممت شفتي فاجعل أمام الحرف نقطة، فإذا ضممت شفتي بغنة فاجعل نقطتين، فإذا رأيتني قد كسرت شفتيَّ فاجعل أسفل الحرف نقطة، فإذا كسرت شفتي بغنة فاجعل نقطتين، فإذا رأيت قد فتحت شفتي فاجعل على الحرف نقطة، فإذا فتحت شفتي بغنة فاجعل نقطتين»[32]

« فالمخرج في اصطلاح الدارسين نقطة حدوث الصوت، وموضع وجوده في موضع من مواضع الجهاز النطقي، مبدأ أو وسطا أو منتهى، وبهذا تكون دلالة المخرج في اللغة تخالف دلالته في هذا الموضع، ففي اللغة هو موضع مرور وانتقال وتحول، وفي الاصطلاح، موضع حدوث وإنشاء وتكوُّنٌ»[33].

فهناك اختلاف في مفهوم المخرج لغة واصطلاحا، ففي اللغة هو موضع الخروج، أما في الاصطلاح فهو المكان الذي يتكون فيه الصوت في الجهاز النطقي.

والباحث في مؤلفات مكي درار يجده يخالف القدماء وبعض المحدثين في مخارج الحروف فهو يرى « أن الشفتين هما البوابة التي يعبر منها الصوت ليُدرك ويُسمع، وأنهما اللتان تكيفان الصوت وتُلوِّنانه، وأنهما اللتان تحددان الصامت الذي لا يَتحقق بوجوده إلا بصائت في عرف معظم الدارسين، والصائت من تلوين الشفتين، والشفتان عند الخليل آخر مخرج من مخارج الصوامت، فحق لهما أن تسميا بالمخرج –البوابة- وإن كانتا أول المخارج عند بعض المحدثين»[34]، ويقصد هنا كل من أمثال: تمام حسان[35] ومحمود السعران[36] وعبد الرحمن أيوب[37] وكمال بشر[38] وسمير شريف إستيسية[39] ومحمد الأنطاكي[40].

وللسيوطي رأي في ذلك فيقول« وهذا الكلام إنما هو حرف وصوت، فإن تركته سدى غفلا امتد وطال، وإن قطعه تقطَّع، فقطَّعوه وجزؤوه على حركات أعضاء الإنسان التي يخرج منها الصوت، وهو من أقصى الرئة إلى منتهى الفم، فوجدوه تسعة وعشرين حرفا لا تزيد على ذلك، ثم قسموها على الحلق والصدر والشفة واللثة.[41]

لكن السؤال المطروح هو كيف توّصل أجدادنا إلى تحديد مخارج الحروف أو الأصوات دون أن يمتلكوا آلات التسجيل الحديثة التي يستخدمها علماء الأصوات المحدثون؟، يجيبنا عصام نور الدين، « فاعلم أن اللغويين قد سموا هذه الطريقة بـ (تذوق الحرف)، وكان تذوق الخليل بن أحمد الفراهيدي هذه الحروف بأن فتح فاه بالألف، ثم أظهر الحرف، وذلك نحو: إبْ، إتْ، إحْ، إغْ، إعْ...، أي كان يسكِّن الحرف (وهو صورة الصوت)، ويدخل عليه همزة الوصل مكسورة... ويتسمّعه، فحيث انقطع الصوت كان مخرجه المحقق، وحيث يمكن انقطاع الصوت، في الجملة، كان مخرجه المقدر...»[42]

ويعتبر الخليل أول من تعرض لمخارج الحروف بالتحديد والتفصيل، في مقدمة معجمه العين، ثم تبعه في ذلك النحاة والقراء، وكان له حس مرهف في تحديد مخارج الحروف، ولا غرابة في ذلك إذا علمنا أنه واضع علم العروض حيث وَجد أن « العين أدخل الحروف في الحلق، فجعلها أول الكتاب، ثم ما قَرُبَ منها الأرفع حتى أتى على آخرها وهو الميم»[43]

فالخليل لم يشأ أن يبدأ ترتيبه بالألف، فرتب أصوات العربية حسب مخارجها من الجهاز النطقي، « قال الخليل بن أحمد: حروف العربية تسعة وعشرون حرفا، منها خمسة وعشرون حرفا لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف يقال لها: جُوفٌ، الواو أجوف، ومثله الياء والألف اللينة والهمزة، سميت، جُوفا لأنها تخرج من الجوف فلا تخرج من مدرجة، وهي في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف، وكان يقول كثيرا: الألف اللينة والواو والياء هوائية، أي أنها في الهواء»[44].

فيبدو على الخليل أنه لم ينسب هذه الحروف إلى حيز من أحياز النطق، كاللسان أو الحلق أو اللهاة، فهي هوائية مبدؤها من الجوف، لذلك سماها بالهوائية.

« وقال ابن كَيْسان: سمعت من يذكر عن الخليل أنه قال: لم أبدأ بالهمزة، لأنها يلحقها النقصُ والتغيير والحذف، ولا بالألف، لأنها لا تكون في ابتداء كلمة ولا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مُبدلة، ولا بالهاء، لأنها مهموسة خفية لا صوت لها، فنزلت إلى الحيز الثاني، وفيه العين والحاء، فوجدت العين أنصع الحرفين، فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف»[45]

وعلى هذا الأساس رتب الخليل معجمه العين وجعله في تسعة وعشرين حرفا منها خمسة وعشرين حرفا لها أحياز ومدارج، وأربعة هوائية، تخرج من الجوف.

وهذا هو ترتيب الخليل للحروف فيقول: « هذه صورة الحروف التي أُلفت منها العربية على الولاء، وهي تسعة وعشرونا حرفا: ع، ح، هـ، خ، غ، ق، ك، ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، د، ت، ظ، ذ، ث، ر، ل، ن، ف، ب، م، فهذه الحروف الصحاح، وايء فهذه تسعة وعشرون حرفا منها أبنية كلام العرب.»[46]

ويرى مكي درار بأن الخليل « تميز عندما وزع الأصوات على جميع مواضعها في الجهاز النطقي، على أساس سريان الصوت وتوقفه في مختلف المواضع، من أقصى الحلق إلى الشفتين»[47]

يظهر أن الخليل كان على دراية تامة بأن هناك فرق بين المخرج والحيز والمدرج والمبدأ، فالمبدأ هو بداية الصوت في انطلاقه ونشأته من موضع أولي، ثم يتدرج في مسلك سماه المدرج، ولما كانت الأصوات متقاربة في مواضع النشأة والتكون جعل لها الخليل أحياز تنتمي إليها هذ الأصوات التي تخرج من الشفتين.

أما سيبويه فهو الآخر يرى بأن « أصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا: الهمزة، والألف، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، والكاف والقاف، والضاد، والجيم، والشين، والياء واللام، والراء، والنون، والطاء، والدال، والتاء، والصاد، والزاي، والسين، والظاء، والذال، والثاء، والفاء، والباء، والميم، والواو»[48].

يرى مكي درار بأن سيبويه قد تحدث عن مخارج الأصوات في كتابه عن مخارجها، ومجهورها، ومهموسها واختلافها، ويعد عمل سيبويه هذا حديثا شاملا في الدراسات الصوتية اللغوية عند العرب منذ

نشأتها، بتعرضه هذا الأخير للأصوات اللغوية على مستويين، عام وخاص، على المستوى العام تحدث عن العنصر الصوتي في السياق وبين أثره في كثير من القضايا الصرفية والنحوية واللغوية، أما على المستوى الخاص، تمثل عمله فيما عرضه عن حديث الإدغام في القسم الصرفي من كتابه[49]

إذا مكي درار يُقِرُّ بأن كتاب سيبويه هو المجمل في زمانه الذي عالج اللغة العربية صوتيا بغية تبيين مدى تأثير المستوى الصوتي في باقي المستويات اللسانية.

يقول سيبويه « ولحروف العربية ستة عشرة مخرجا»[50] ، قام مكي درار باستخراجها وتوضيحها في هذا الجدول:

المواقع الصوتية التي استخرجها مكي درار من كتاب سيبويه[51]

الترتيب	المخارج	توضيح المخرج	الحروف		
1	أقصى الحلق	أعلى الحنجرة		هـ	أ
2	وسط الحلق	ما بين أقصى الحلق وأدناه	ع	ح	
3	أدنى الحلق	مما يلي الفم قرب اللهاة	غ	خ	
4	أقصى اللسان	أصله وما فوقه من جهة الحنك الأعلى	ق		
5	أقصى اللسان	أصله ومن أسفل مخرج القاف	ك		
6	وسط اللسان	بينه وبين الحنك الأعلى	ج	ي	ش
7	من بين أول حافة	حافة اللسان بدايته جهة اليمين أو اليسار	ض		
8	حافة اللسان	من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينهما وبين ما يليها من الحنك الأعلى وفويق الضاحك والناب والرباعية والثنية	ل		
9	طرف اللسان بينه	وبين فويق الثنايا وهو نهايته قرب الأسنان	ن		
10	من مخرج النون	غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام	ر		
11	من بين طرف	اللسان، وأصول الثنايا	ط	د	ت
12	من بين طرف	اللسان، وفويق الثنايا	ز	س	ص
13	من بين طرف	اللسان، وأطراف الثنايا	ظ	ذ	ث
14	من باطن الشفة	السفلى، وأطراف الثنايا العلى	ف		
15	مما بين الشفتين		ب	م	و
16	من الخياشيم	التجويف الأنفي	ن		

يتنبه مكي درار إلى أن المحقق عبد السلام هارون، لم يذكر اللام في تحقيقه لكتاب سيبويه، مع أن هذا الصوت موجود في طبعة بولاق، ج2، ص405، وطبعة لبنان ج2، والظاهر أنه سقط عند الطبع سهوا[52]

ولقد آخذ مكي درار سيبويه واللذين جاءوا من بعده في تقسيمه الأصوات –الحروف- إلى أصلية وفرعية، ولم يقسم الصوائت –الحركات- إلى أصلية وفرعية، على غرار الصوامت[53].

ومما يجدر الإشارة إليه، أن مكي درار يعارض أيضا إبراهيم أنيس عندما قال بأن سيبويه قد لخص آراء الخليل في دقة وآمان فيرد عليه أن « ما يلاحظ على توزيع سيبويه للأصوات على مخارجها، أنه لم يتقيد بتوزيع أستاذه الخليل، ولم يكن كتاب سيبويه منقولا عن الخليل، كما أنه لم يكن خلاصة لآراء الخليل»[54]، فمكي درار يَعُدُّ كتاب إبراهيم أنيس[55] "اختزالا لكتاب سيبويه وتطاولا عليه»[56].

مخارج الحروف عند الخليل[57]

الترتيب	المخارج (الأحياز)	الحروف
1	الحلق	ع- ح- ه –خ –غ
2	اللهاة	ق- ك
3	شجر الفم	ج – ش- ض
4	أسلية –مستدق طرف اللسان	ص – س – ز
5	نطع الغار الأعلى .	ط – ت- د
6	لثوية	ظ – ذ- ث
7	ذلقية	ر – ل – ن
8	شفوية	ف – ب- م
9	هوائية	ي- و –ا –ء

في الوهلة الأولى يبدو لنا أن هناك تسعة مخارج، لكن المتأمل سيجد ثمانية مخارج لأن (ي، و، ا، ء) اعتبرها الخليل هوائية.

يمكن القول أن هناك اختلافا واضحا بين سيبويه وأستاذه الخليل في عدد المخارج وتوزيعها على مواضع حدوثها، وعليه نقول قد أصاب مكي درار وأخفق ابراهيم أنيس في عقد المقارنة بين الخليل وتلميذه سيبويه.

التوزيع الصوتي لمكي درار:

يقرّ مكي درار بأن « المخارج الحلقية من أصعب المواضع وصفا وتحديدا، وإن أبدى الوصف عن ثلاثة أقسام للحلق، فهي في حقيقة أمرها حيز واحد قصير المسافة بين مبدئه ومنتهاه، ويخلو الحلق من أي عضو إضافي يعمل في تحديد الصوت وتلوينه، وأن حدوث الأصوات في الحلق تنظمها عملية ذهنية معقدة، وأن وصف الأصوات وتوزيعها على مواضعها عملية ترتيبية فقط »[58]

إذا هناك اختلاف واضح في مخارج الحروف بين القدماء والمحدثين، ويمكن أن نلخص ترتيب وتوزيع مواضع الحروف عند مكي درار كما يلي:

1- أقصى الحلق: الهمزة، الهاء، الصوائت القصيرة والطويلة.

2- وسط الحلق: العين، والحاء.

3- أدنى الحلق: الغين، والخاء.

4- اللهاة: القاف، والكاف.

5- الشجر: الجيم، الياء، الشين.

6- الذلق: اللام، الراء النون.

7- النِطعُ: الطاء، الدال، التاء.

8- الأسلة: الصاد، الزاي، السين.

9- بين الأسنان: الظاء، الذال، الثاء.

10-الشفتان: الفاء، الباء، الميم، الواو.[59]

إن المتمعن في ترتيب مكي درار لمخارج الحروف يجده يتوافق مع سيبويه في تقسيم الحلق إلى ثلاثة أقسام وحتى في توزيع الحروف على مواضعه (أقصى الحلق – وسط الحلق- أدنى الحلق).

والمتأمل في هذا التوزيع يجد أن مكي درار قد وزع الأصوات على عشرة بدل سبعة عشر مثلما فعل سيبويه، أو تسعة كما فعل الخليل فاختلف مكي درار معهما في بعض المواقع واتفق معهما في أخرى من حيث التوزيع أو التسمية، حيث أنه يتفق مع سيبويه في توزيع الأصوات الحلقية (أقصى الحلق – وسط الحلق – أدنى الحلق).

أما موقع (ق) وموقع (ك) اللذان خصص لهما سيبويه موضعين، جعلهما مكي درار في موضع وموقع واحد وهو اللهاة، كما فعل الخليل في التوزيع والتسمية، أما سيبويه فنجده قد جعل أقصى اللسان وما فوقه من جهة الحَنك الأعلى لحرف (ق)، ومن أسفل اللسان قليلا مما يليه من الحنك الأعلى موقع (ك)، والملاحظ أن مكي درار يتوافق مع الخليل في توزيعه لهذين الحرفين.

ويتفق كل من مكي درار وسيبويه في توزيع كل من (ج-ي-ش)، التي قال عنها سيبويه أنها من وسط اللسان، لكن مكي درار يتوافق مع الخليل حين قال عنها بأنها شجرية أي من شجر الفم، أي اتفق مكي درار مع سيبويه في التوزيع واتفق مع الخليل في التسمية.

جعل سيبويه لكل من (ل- ن- ر) موقع موضع، بينما جعل مكي درار الكل في موقع واحد وسماها بالحروف الذلقية، متبعا الخليل في التوزيع والتسمية.

يتفق مرة أخرى مكي درار مع سيبويه في توزيع (ط- د- ت) التي جعلها سيبويه من بين طرف اللسان وأصول الثنايا، بينما سماها مكي درار بالحروف النِطعية، متفقا مع الخليل في التوزيع والتسيمة أيضا.

نجد أيضا هناك اتفاق بين مكي درار وسيبويه في توزيع (ص- ز- س)، لكن اختلاف في التسمية، حيث جعلها سيبويه من بين طرف اللسان، وفويق الثنايا، والتي سماها مكي درار بالحروف الأسلية، متبعا الخليل في التوزيع والتسمية.

يتفق مكي درار مع سيبويه والخليل في توزيع (ظ- ذ- ث) والتي جعلها سيبويه من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا، بينما سماها مكي درار بالحروف التي موضعها بين الأسنان، بينما سماها الخليل بالحروف اللثوية.

يختلف مكي درار مع سيبويه والخليل في توزيع (ف- ب- م- و) التي جعلها مكي درار من الشفتين، بينما سيبويه جعل (ب- م- و) من الشفتين أما (ف) فجعلها من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى، بينما عند الخليل الحروف الشفوية هي (ف-ب-م).

هذه مواطن الاتفاق والاختلاف بين مكي درار وسيبويه والخليل في توزيع عدد الأصوات على مواضع نطقها في الجهاز الصوتي.

والملفت للانتباه أن صوت الضاد غير وارد في توزيع وترتيب مكي درار، والذي خصص لها بحث مستفيض في العدد الأول من مجلة القلم الصادرة عن قسم اللغة العربية بجامعة وهران.

فالضاد، جعلها الخليل شجرية، وجعلها سيبويه جانبية ممتدة على إحدى الجهتين من جانبي الأضراس، بينما حشرها المحدثون مع الأصوات الأسنانية أمثال كمال بشر والذي سنحاول التطرق إلى رؤيته في مخارج الحروف ومواضعها.

أما المحدثون الراغبون في التجديد أمثال محمود السعران، وكمال بشر فكان لهم رأي آخر في مخارج الحروف حيث يقول هذا الأخير: « وسنراعي في الترتيب الجديد أن نذكر كل مجموعة من الأصوات المتحدة المخرج والحيز على حدة»[60]

ويعد كمال بشر مخارج الحروف أحد عشر مخرجاً، هي:

1- أصوات شفوية، وهي الباء والميم. وكثيرا ما يشار إلى الواو أيضا (في نحو وعد) بأنها شفوية.
2- أسنانية شفوية، وهي الفاء.
3- أسنانية، أو أصوات ما بين الأسنان، وهي الثاء والذال والظاء.

4- أسنانية-لثوية، وهي: التاء والدال والضاد والطاء واللام والنون.
5- لثوية، وهي: الراء والزاي، والسين والصاد، وبشر يلاحظ بأن مخرجي 4 و5 متقاربان، لدرجة يصعب معها أحيانا التفريق بينهما
6- أصوات لثوية- حنكية، وهي: الجيم الفصيحة والشين.
7- أصوات وسط الحنك، وهي الباء، ويرى بشر أن بين الياء والجيم والشين قربا شديدا في المخرج.
8- أصوات أقصى الحنك، وهي: الخاء والغين والكاف والواو.
9- أصوات لهوية، وهي القاف، كما ننطقها اليوم في اللغة الفصيحة لا في اللهجات العامية.
10- أصوات حلقية، وهي: العين والحاء.
11- أصوات حنجرية، وهي: الهمزة والباء.[61]

هذه هي مخارج أو مواضع النطق كما يراها كمال بشر، مرتبة ترتيبا تنازليا، وتبعه في ذلك تمام حسان[62]، وجان كانتينو[63] ومحمد الأنطاكي في كتابه دراسات في فقه اللغة[64]، هذا الأخير الذي اتفق مع كمال بشر في عدد مخارج الحروف وفي ترتيبها رغم اختلاف طفيف في التوزيع، فكمال بشر يرى أن « ابن جني (وغيره) قد تأثروا بطريقة الخليل بن أحمد فرتبوا الأصوات (والمخارج كذلك) ترتيبا يخالف المألوف الآن، إن ترتيبهم ترتيب تصاعدي، أي أنه يبدأ من أقصى الحلق إلى الشفتين، والترتيب الشائع الآن (هو ما لاحظناه عند بيان مواضع النطق) يبدأ من الشفتين راجعا إلى الخلف حتى الحنجرة»[65].

أما مكي درار يرى أن « المعاصرين العرب قد عصروا الدرس الصوتي العربي من مائه، وقدموه للقارئ العربي جافا، لا ماء فيه ولا حياة، إلا ما ندر»[66]

ومما يجب الإشارة إليه أن عدد المخارج أو بالأحرى عدد المواضع التي جسدها مكي درار وفي الترتيب التصاعدي للحروف العربية أنه يشبه إلى حد كبير ترتيب محمد المبارك[67]، فقط هناك اختلاف طفيف في ترتيب الحروف الشجرية، فعند مكي درار تبدأ بـ: (ج، ي، ش)، أما عند محمد المبارك فيه على التوالي (ج، ش، ي)، أما عن الحروف التي سماها مكي درار بالحروف التي يكون موضعها بين الأسنان هي (ظ، ذ، ث)، يراها محمد المبارك بأنها حروف لثوية، ويبقى الإختلاف في المصطلح حيث أن محمد مبارك وغيره كثيرون استعملوا مخارج الحروف بفتح الميم، أما مكي درار فاصطلح عليها بالمواضع، ومواقع حدوث الحروف، وهذا المصطلح ظهر في كتابه الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه(خلفيات وامتداد)[68]، وكأن مكي درار بأن يؤسس لمصطلح جديد اسمه الموقعية التي هي عنده أماكن ومواضع حدوث الأصوات اللغوية، « والمَوْقِعُ والمَوْقِعَةُ: موضع الوقوع»[69]، « والمَوْقِعُ : مكان الوقوع، يقال: وقع الشيء موقِعَهُ (ج) مواقع، ومواقع القتال : مواضعه، والموقعة : موضع الوقوع، والوَقْعُ : صوت الضرب بالشيء، يقال سمعت وقع المطر، والوَقْعَةُ: المَرَّةُ»[70]

ويبدو من هذه التعريفات أن مكي درار كان على دراية عندما أطلق مصطلح الموقعية أو مواقع ومواضع حدوث الأصوات بدل مخارج، فالمخارج هي المخرج النهائي الذي يخرج منه الصوت ويتلوّن ويَقصد بوابة

الشّفتين، فالأصوات عنده تبدأ من الرئتين نحو الشّفتين، ويمكننا أن نمثّلها كما يحدث في محركات السيارات، حيث يحدث الصّوت داخل المحرك الذي تحدث فيه عملية الإنفجار في غرف الاحتراق، وإحداث الأصوات، ومن ثمة يخرج الهواء من المحرك نحو الخارج عبر العادم.

الموقعية عند تمام حسان:

وأثناء بحثنا هذا وجدنا أيضا تمام حسان يستعمل مصطلح الموقعية، فهل كان يقصد بها موضع حدوث الأصوات في الجهاز النطقي؟

« فالموقعية عند تمام حسان هي دراسة لسلوك الأصوات في الموقع، طبقا لما يقتضيه هو سواء أكان هذا الموقع بداية الكلمة، أو وسطها، أو نهايتها، إذا فدراسة الأصوات المفردة المنعزلة انعزالا مصطنعا عن السياق ليست دراسة موقعية.» (71)

ويقسم تمام حسان الموقعية في العربية الفصحى إلى أربعة أقسام هي:

أ- موقعية البداية

ب- وموقعية الوسط: التي يقسمها إلى: 1-موقعية نقطة الاتصال2-موقعية الشدة الأنفية3- موقعية القلقلة4-موقعية الساكنين

ج-موقعية النهاية

د- وموقعية الشيوع: والتي أدخل فيه الظواهر الآتية :1-الإجهار والإهماس2- قوة النطق وضعفه3- التفخيم والترقيق4-الكمية5- النبر 6- التنغيم.

النبر، التنغيم، الكمية، التفخيم، الترقيق، الجهر، الهمس، القوة، والضعف»

فتمام حسان ركز كثيرا على التشكيل الصوتي متأثرا بكانتينو وتروبتسكوي، وذلك في دراسة الأصوات من حيث تجاورها وارتباطها ومواقعها، فالتشكيل الصوتي هو الأساس الذي يبنى عليه علم دراسة الأصوات(72)

« والتخارج في الموقع، بمعنى أن الصوتين اللذين يقعان في موقع واحد، كالفاء من فَلَقَ والعين من عَلَقَ، ينسبان لحرفين إذا اختلف معنى إحدى الكلمتين عن الأخرى، أما إذا لم يقعا في موقع واحد، فلو فسرت أحدهما على أن يحل محل الآخر لم يتغير المعنى، كما لو أحللت محل الميم في ملق الصوت الذي نسميه إدغاما بغنة، وهو من حرف الميمن فإنها إذا من حرف واحد: هذا هو معنى التخارج في الموقع»(73)

إن المتمعن في هذا النص يصل إلى حكم مفاده أن تمام حسان لا يقصد بمصطلح الموقع والموقعية موضع نطق الحرف في الجهاز النطقي، فهو يقر صراحة في تعريف المخرج بمكان النطق(74).

وعليه يمكن القول أن خروج الهواء يبدأ تصاعديا من أسفل إلى أعلى مثلما ذكره القدامى وبعض المحدثين مثل مكي درار فالمنطق والدراسات العلمية المخبرية تبرهن صحة هذه النظرية.

وعليه سار على هذا التقسيم كثير من القدامى العرب (كسيبويه وابن جني) حيث قسّموا الحلق إلى: أقصى الحلق ومنها (الهمزة والهاء) ووسط الحلق ومنها (العين والحاء، وأدنى الحلق ومنه (الغين والخاء).

ولذلك يمكن الانتهاء إلى أن مكي درار عارض القدماء وبعض المحدثين العرب في مصطلح المخرج بفتح الميم وفي ترتيب الحروف الذي جعله تصاعديا، وفي توزيع هذه الحروف على مواضعها، ومن الذين عارضهم: « إبراهيم أنيس، وحتى أمثال علي عبد الواحد وافي في كتابه (فقه اللغة وعلمها)، فمكي درار يرى أنه قد طبق منهجا بحثيا غربيا، لا يتناسب والبيئة العربية، بحكم إقامته خارج الوطن العربي، كما آخذ محمود السعران في كتابه (علم اللغة مقدمة للقارىء العربي)، حيث انتقده هو الآخر والذي وجده قد صاحبه قد رصد في قائمة المراجع والمصادر مائة وخمسة وأربعين كتاب، لكن يتعارض مع ما هو في الإحالات التي وجدت استند إلى مؤلفات أجنبية وغربية ما يفوق المصادر العربية»[75]

لكن مكي درار لا ينكر على ما جاءت به هذه الأعمال، فكما بها جانب سلبي هناك العديد من الجوانب الإيجابية التي أضافت الكثير إلى علم الأصوات في العربية، وأطرى (أثنى) مكي درار بأن هناك من الكتب العربية الرفيعة في العصر الحديث ما تناولت المجال الصوتي، ونقلته من الأصالة إلى الحداثة بنظرة علمية وخطى هادئة أمثال دراسات في فقه اللغة لصبحي الصالح، وفقه اللغة وخصائص العربية لمحمد المبارك، والوجيز في فقه اللغة لمحمود الأنطاكي، ومدخل إلى فقه اللغة لأحمد محمد قدور[76].

النتائج:

يظهر جليا بأن مكي درار من المحافظين على التراث العربي، والدليل في ذلك أنه انطلق من القديم، لصحته والدليل في ذلك أنه بدأ بحثه من الخليل وركز جيدا على سيبويه، والذين جاؤوا بعده، فهو يعارض بعض المحدثين في تأثرهم ببعض المناهج الغربية وتطبيقها على اللغة العربية، واستعمالهم لمصطلحات دخيلة أجنبية معربة، حيث يراهم كلفوا أنفسهم بالجديد والتجديد من أجل التجديد، وأنهم قد أخلطوا خلطا في تحديد مخارج الحروف رغم أنهم يعترفون بأن في بعض المرات يُقرُّون بفضل القدماء وذكائهم وقوة ملاحظاتهم في تحليل القضايا الصوتية.

تأسيس مكي درار لمصطلح جديد استعمله لأكثر من مرة في كتابه الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية (خلفيات وامتداد)، وهو مصطلح الموقعية والمواقع التي يقصد به مواضع حدوث حروف العربية والذي أَقَرَّهُ صراحة بأنه يستعمل هذا المصطلح في كتابه هندسة المستويات اللسانية من المصادر العربية.

أن مكي درار وزَّع الأصوات العربية على عشرة مخارج ورتبها ترتيبا تصاعديا أي من الحلق إلى الشفتين.

يبدو أن مسألة ترتيب وتوزيع الحروف مسألة شكلية فالتداخل بين مواضع النطق وصعوبة تحديده أدى إلى هذا اللبس والإختلاف بين علماء اللغة.

يمكن أن هناك تطورا في الأصوات العربية التي تغير نطقها فنطق اللغة العربية في زمان الخليل وسيبويه ليس نفسُه في وقتنا الحالي.

أن القدماء كانوا يعتمدون على الحس والتذوق في معرفة مواضع النطق، أما المحدثون فاعتمدوا كثيرا على الوسائل الحديثة.

وعلى ما يبدو أن مكي درار متأثر بما أنتجته قرائح علماء اللغة العربية القديمة، فلم أجده يستعمل الكلمات المعرَّبة مثل الفونيم والمونيم والفونيتيكا...، ولعله يريد أن يقول كيف لي أن أستعملها ولغتنا غنية بالمصطلحات، عكس بعض الباحثين والدارسين المحدثين الذين استوردوا لنا العديد من المصطلحات اللغوية في الدراسات اللسانية حتى وقعنا في فوضى المصطلح.

ومما ينبغي الإشارة إليه لدى قراءتي لهذا المنتوج العلمي الذي يَنضاف إلى اللسانيات العربية عامة وإلى الدراسات الصوتية خاصة، أن مكي درار ألفيته يستعمل الدقة العلمية في التحليل وكأنه في علوم المادة التي تحلل المادة إلى أصغر الجزئيات المركبة ومن ثم الملاحظة ثم تعيد التركيب.

هوامش البحث:

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص 57.

[2] ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2000، ص26 و27.

[3] الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه (خلفيات وامتداد)، ص6.

[4] مكي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية (خلفيات وامتداد)، منشورات دار اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2007، ص11.

[5] الزبيدي، (أبوبكر محمد بن الحسن) طبقات النحويين واللغويين تحقيق : محمد الفضل، دار المعارف، ط2،1974، ص13.

[6] المرجع السابق، ص12.

[7] محمد عبد الله ابن التيمن، اللحن اللغوي وآثاره في الفقه واللغة، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري، الإمارات العربية المتحدة، دبي، ص9.

[8] ينظر: مكي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية (خلفيات وامتداد)، ص 11.

[9] محمد عبد الله ابن التيمن، اللحن اللغوي وآثاره في الفقه واللغة، ص9.

[10] يوهان فك، العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، مصر، 1980، ص243.

[11] الزبيدي، (أبوبكر محمد بن الحسن) طبقات النحويين واللغويين، ص22.

[12] أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، ج2، ص8، وينظر جلال الدين السيوطي، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج2، ص396، وينظر:إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ط6، 1978، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ص 202.

[13] سورة قريش الآية : 1 – 2.

[14] مكي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية (خلفيات وامتداد)، ص12 .

[15] محمد عبد الله ابن التيمن، اللحن اللغوي وآثاره في الفقه واللغة، ص8.

[16] ينظر: مكي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية (خلفيات وامتداد)، ص 13.

[17] ينظر: المرجع السابق، ص 28.

[18] المرجع نفسه، ص 38.

[19] أبو عمرو عثمان بن سعد الداني، المحكم في نقط الحروف، تح: عزة حسن، دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان-، ط2، 1997، ص 26.

[20] ينظر: مكي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية (خلفيات وامتداد)، ص 46.

[21] لسان العرب، ج2، ص249.

[22] المعجم الوسيط، 1980، عمان ج1، ط3، ص223.

[23] ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، ص131.

[24] المرجع نفسه، ص132 و133.

[25] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1974، ط2، ص65.

[26] ينظر، مكي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية (خلفيات وامتداد)، ص 140.

[27] ينظر: المرجع نفسه، ص 140.

[28] المرجع نفسه، ص 65.

[29] مكي درار، المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، دار أم الكتاب، مستغانم، الجزائر، 2014، ط3، ص43.

[30] ينظر: المرجع نفسه، ص50.

[31] حوار بيني وبين الأستاذ الدكتور مكي بتاريخ 23 فيفري 2017 بجامعة السانية وهران.

[32] أبو عمرو عثمان بن سعد الداني، المحكم في نقط الحروف، ص6 و7.

[33] مكي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية (خلفيات وامتداد)، ص 65.

[34] المرجع نفسه، ص65 و66.

[35] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1990، ط1،ص124.

[36] محمود السعران، علم اللغة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص 142.

[37] عبد الرحمن أيوب ، أصوات اللغة، مطبعة الكيلاني، 1968، ط2،ص 199.

[38] كمال بشر، علم الأصوات، ص183.

[39] سمير شريف إستيسية، الأصوات اللغوية –رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية- دار وائل للنشر، 2003، ط1.

[40] محمد الأنطاكي، دراسات في فقه اللغة، دار الشرق العربي، بيروت، 1969، ط4، ص142.

[41] عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، منشورات المكتبة العصرية، صيدا – بيروت – ص 36.

[42] عصام نور الدين، علم الأصوات اللغوية (الفونيتيكا)، دار الفكر اللبناني –بيروت- لبنان ص217.

[43] الخليل ابن أحمد الفراهيدي، العين، تح مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي السمرائي ج1، 47.

[44] أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، ج1، تح: عبد السلام هارون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، ص48.

[45] عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، ص90.

[46] الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ج1، ص58

[47] مكي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية (خلفيات وامتداد)، ص 66.

[48] سيبويه، الكتاب، ج4، ص431.

[49] ينظر: مكي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية (خلفيات وامتداد)، ص 68.

[50] سيبويه، الكتاب، ج4، ص433.

[51] مكي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية (خلفيات وامتداد)، ص 69.

[52] ينظر: مكي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية (خلفيات وامتداد)، ص 70.

[53] مكي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية (خلفيات وامتداد)، ص280.

[54] مكي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية (خلفيات وامتداد)، ص 73

[55] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر.

[56] مكي درار، كينونة الأصوات اللغوية في آثارنا العربية، مجلة الآداب، جامعة سيدي بلعباس ،2007، العدد (6)، ص37.

[57] العين، ج1، ص58.

[58] مكي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية (خلفيات وامتداد)، ص 73و 74.

[59] مكي درار، المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، دار أم الكتاب، 2014، ط3، ص 58 و59.

[60] كمال بشر، علم الأصوات، ص189.

[61] كمال بشر، علم الأصوات، ص183.

[62] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص124.

[63] دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو، ترجمة صالح القرمادي، نشريات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس 1966، ص22.

[64] محمد الأنطاكي، دراسات في فقه اللغة، ص142.

[65] كمال بشر، علم الأصوات، ص189.

[66] مكي درار، كينونة الأصوات اللغوية في آثارنا العربية، مجلة الآداب، جامعة سيدي بلعباس 2007، العدد (6)،ص37.

[67] محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1964، ص46 – 48.

[68] مكي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية (خلفيات وامتداد)، ص 69.

[69] لسان العرب، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، ج8، دار بيروت، ط1، ص403.

[70] المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004، ط4، ص1050.

[71] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص146.

[72] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص111 و112.

[73] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، 1990، ص120 و121.

[74] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص84 – 87.

[75] مكي درار، كينونة الأصوات اللغوية في آثارنا العربية، مجلة الآداب، ص37.

[76] مكي درار، كينونة الأصوات اللغوية في آثارنا العربية، مجلة الآداب، ص38.